والإشارة في قوله (لقد وعدنا هذا) إلى ما تقدم في قولهم (أإذا متنا) إلى آخره أي هذا المذكور من الكلام . وكذلك اسم الإشارة الثاني (إن هذا إلا أساطير الأولين) . وصيغة القصر بمعنى : هذا منحصر في كونه من حكايات الأولين . وهو قصر إضافي لا يعدو كونه من الأساطير إلى كونه واقعا كما زعم المدعون .

والعدول عن الإضمار إلى اسم الإشارة الثاني لقصد زيادة تمييزه تشهيرا بخطئه في زعمهم .

والأساطير : جمع أسطورة وهي الخبر الكاذب الذي يكسى صفة الواقع مثل الخرافات والروايات الوهمية لقصد التلهي بها . وبناء الأفعولة يغلب فيما يراد به التلهي مثل : الأعجوبة والأضحوكة والأرجوحة والأحدوثة وقد مضى قريبا .

(قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون [84] سيقولون ﷲ قل أفلا تذكرون [85])

استئناف استدلال عليهم في إثبات الوحدانية ﷲ تعالى عاد به الكلام متصلا بقوله (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون) .

والاستفهام تقريري أي أجيبوا عن هذا ولا يسعهم إلا الجواب بأنها ﷲ . والمقصود : إثبات لازم جوابهم وهو انفراده تعالى بالوحدانية .

و (إن كنتم تعلمون) شرط حذف جوابه لدلالة الاستفهام عليه تقديره : فأجيبوني عن السؤال . وفي هذا الشرط توجيه لعقولهم أن يتأملوا فيظهر لهم أن الأرض ﷲ وأن من فيها ﷲ فإن كون جميع ذلك ﷲ قد يخفى لأن الناس اعتادوا نسبة المسببات إلى أسبابها المقارنة والتصرفات إلى مباشريها فنبهوا بقوله (إن كنتم تعلمون) إلى التأمل أي إن كنتم تعلمون علم اليقين ولذلك عقب بقوله (سيقولون ﷲ) أي يجيبون عقب التأمل جوابا غير بطيء . وانظر ما تقدم في تفسير قوله تعالى (قل لمن ما في السماوات والأرض قل ﷲ) في سورة الأنعام .

ووقعت جملة (قل أفلا تذكرون) جوابا لإقرارهم واعترافهم بأنها ﷲ . والاستفهام إنكاري إنكار لعدم تذكيرهم بذلك أي تفطن عقولهم لدلالة ذلك على انفراده تعالى بالإلهية . وخص بالتذكر لما في بعضه من خفاء الدلالة والاحتياج إلى النظر .

(قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم [86] سيقولون ﷲ قل أفلا تتقون [87])

تكرير الأمر بالقول وإن كان المقول مختلفا دون أن تعطف جملة (من رب السماوات) لأنها وقعت في سياق التعداد فناسب أن يعاد الأمر بالقول دون الاستغناء بحرف العطف . والمقصود وقوع هذه الأسئلة متتابعة دفعا أهم بالحجة ولذلك لم تعد في السؤالين الثاني والثالث جملة (إن كنتم تعلمون) اكتفاء بالافتتاح بها .

وقرأ الجمهور (سيقولون) بلام جارة لاسم الجلالة على أنه حكاية لجوابهم المتوقع بمعناه لا بلفظه لأنهم لما سئلوا ب (من) التي هي للاستفهام عن تعيين ذات المستفهم عنه كان مقتضى الاستعمال أن يكون الجواب بذكر اسم ذات المسؤول عنه فكان العدول عن ذلك إلى الجواب عن كون السماوات السبع والعرش مملوكة عدولا إلى جانب المعنى دون اللفظ مراعاة لكون المستفهم عنه لوحظ بوصف الربوبية والربوبية تقتضي الملك . ونظير هذا الاستعمال ما أنشده القرطبي وصاحب المطلع : .

إذا قيل : من رب المزالف والقرى ... ورب الجياد الجرد ؟ قلت : لخالد ولم أقف على من سبقهما بذكر هذا البيت ولعلهما أخذاه من تفسير الزجاج ولم يعزواه إلى قائل ولعل قائله حذا به حذو استعمال الآية .

وأقول : إن الأجدر أن نبين وجه صوغ الآية بهذا الأسلوب فأرى أن ذلك لقصد التعريض بأنهم يحترزون عن أن يقولوا : رب السماوات السبع ا لأنهم أثبتوا مع ا أربابا في السماوات إذ عبدوا الملائكة فهم عدلوا عما فيه نفي الربوبية عن معبوداتهم واقتصروا على الإقرار بأن السماوات ملك لأن ذلك لا يبطل أوهام شركهم من أصلها ؛ ألا ترى أنهم يقولون في التلبية في الحج (لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك) . ففي حكاية جوابهم بهذا اللفظ تورك عليهم ولذلك ذيل حكاية جوابهم بالإنكار عليهم انتفاء اتقائهم ا تعالى .

وقرأه أبو عمرو ويعقوب (سيقولون ا) بدون لام الجر وهو كذلك في مصحف البصرة وبذلك كان اسم الجلالة مرفوعا على أنه خبر (من) في قوله (من رب السماوات) والمعنى واحد .

A E